صدى الحرية / العدد 70 / الجمعة 18 / تموز / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

غزة... دروس الصمود والعزة

بين الشام وغزة

الفن.. قريباً للثورة..

عن منظمة التحرير والائتلاف

ما لا يم الواجب (الثوري)..

قلم رصاص

صبرتَ ياسر..

صدى الحرية

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

بين الشام وغزة

دائماً ما نتحدث عن ابتعاد بعض ذوي العقول والرؤى عن المشهد العام للثورة، واكتفائهم بأخذ مقعد المتفرج، ليترك الباب مفتوحاً لمن لا يملك خبرة إدارة أي طارئٍ يقع أثناء الأزمات، فالمشكلة التي نعانيها هي التعامل بردة فعلٍ مع كل جديد، فما يحدث من سلوكيات لا يمكن أن نحملها إلا ضمن إطار قلة الخبرة وسوء المعرفة، فجملة السلوكيات التي نشهدها في المدينة على سوئها غالباً ما تبررها (مصلحة البلد)، تلك العبارة الفضفاضة، والتي تذكرنا بمفاهيم النظام الغامضة والغيبية، التي لا يمكن أن يدركها إلا عقول القيادة العليا كما كان يقال لنا، وتتجسد اليوم بصورة مماثلة، لكن ضعف التنسيق فيما بين قيادات المجموعات المشتتة، والنظر إلى الأحداث المستجدة كلٌ بمنظوره الخاص، يصبغ أي واقعة بطابع من حيث التعامل معها بالسوء، وتتحول تلك الأعمال الفردية إلى شبه ظاهرة مستشريه في المجتمع تستمد شرعيتها وسلطتها من القوة والنفوذ على الأرض، بينما الحقيقة أن أية شرعية في مكانٍ ما أو رقعة على الأرض السورية اليوم فهي نتاجٌ لسلب النظام شرعيته وما يمت له بعلاقةٍ أو صلة، من خلال الثورة، فهي العباءة التي تغطي تصرفاتنا، والمسؤولية هنا لا تعني فرض قيودٍ جديدة على الناس طالما بقيت ضمن إطارها الصحيح، حتى وإن اختلفت معي في الرؤى والاتجاه.

ما حدث قبل أيام هو رغبةٌ من بعض أهلنا الفلسطينيين بالخروج في مسيرةٍ تضامنيةٍ مع ما يحصل في قطاع غزة من مجازر، تم مقابلتها بطريقةٍ خاطئة لا يمكن تبريرها، بل إنها تندرج تحت عنوان سلوكيات النظام المستهجنة، والتي عدنا لممارستها وإن كان بعفوية، سببها كما أسلفنا التعامل بردة فعل، ما يمكننا أن نقوله ألا نتيجة ولا تبعات لما حدث. بالمقابل لا يمكن أن نغفل أي تصرفٍ خاطئ من أي طرفٍ صدر، والميزان كما قلنا قيم الحرية والعدالة وكرامة الناس فلا تساهل فيها.

يقودني الموضوع للمرور سريعاً على ما يحصل في غزة وما يرتكب بحق إخوتنا، إذ إن الصورة تحمل في طياتها شبهاً وتماثلاً بين حالتين جهاديتين، في الشام وغزة، من حيث الظروف وطبيعة الحصار وتعاطي المجتمع العربي والدولي مع القضيتين، وإن كانت الفوارق تبقى لصالح أهل غزة، فمقارنةٌ بسيطة بين الحالة السورية والفلسطينية _ تحديداً غزة _ تضعنا أمام علامات استفهام، بل ومحاسبة لكل ما من شأنه تأخير النصر وتراجع شعبية الثورة، في الوقت الذي حافظ فيه المجاهدون هناك على بيئتهم الحاضنة وربما زادت، وبالمقارنة نجد أن العدو من حيث الدعم يكاد يكون نفسه، وإذا دققنا في المصالح المتقاطعة بين الطرفين نجد ذاك الارتباط الوثيق والاتجاه العام لمحاربة أي صورة من صور الإسلام وأهله، لكن المقارنة تقف أمام هوةٍ كبيرة بين الحالة الغزاوية والحالة السورية، فبينما تشهد غزة حالة من التلاحم الشعبي والالتفاف حول المجاهدين، نجد في المشهد السوري حالة من الانسحاب، كما أن الواقع التنظيمي والعسكري هناك وصل مرحلة جيدة من حيث البنية والتطوير التكنولوجي والتكتيكي والإداري، فيما بقينا في ذات المربع، والمقارنة هنا خلال السنوات الأربع الماضية من عمر الثورة السورية والحرب على غزة التي انتهت في العام 2010، وإن بقيت بعض محاولات التطوير في بعض الأراضي السورية لا تنكر لكنها تبقى في مجالها الضيق.

إن صمود الأهل في غزة ليس جديداً فالتاريخ سجل لهم ونخشى أن يسجل علينا، ولا اعتقد أننا بأقل منهم من حيث الإيمان بالله وبحتمية النصر، وصحة ما خرجنا من أجله، وليس ثمة ما يسيء للثورة السورية وعلاقتها بما يحصل في غزة، فالتلاقي على خط الجهاد بات واضح المعالم، ولو عدنا بأذهاننا إلى الوراء لوجدنا حالة التعاطف مع أولئك المجاهدين كيف كانت، وهي ما يجب أن تستمر وتزداد اليوم، من قبل الثوار في سوريا، كما أن تعلم الدروس والاستفادة من تجربتهم العظيمة يجب أن تكون نقطة التقاء تؤسس لمرحلة أعظم على مستوى الأمة بكاملها، تؤدي في مرحلةٍ لاحقة إلى مد جسور التعاون بين الشام وغزة.

من منظمة التحرير والائتلاف السوري

عندما أسّس "أحمد الشقيري" منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، بناءً على توجيهات مصرية، كانت الغاية أن تكون تلك المنظمة كيانًا سياسيًّا ـ قانونيًّا، تنتقل بالفلسطينيين من لاجئين مشتتين إلى شعب موحد يسعى لتحرير بلاده، تمثله مرجعيةٌ سياسيةٌ متماسكةٌ تنظمه، وتقود نضاله الهادف إلى التحرير والعودة.

طبعًا كان لبعض الزعماء العرب غاياتٌ أخرى من وراء الدفع باتجاه تأسيس المنظمة غير الحرص على مصلحة فلسطين وشعبها. "عبد الناصر" مثلًا، كان يريد تجريد الملك الأردني "حسين" من دوره في تمثيل الشعب الفلسطيني سياسيًّا، ويسعى للتحكم بملف فلسطين، لذلك كان الملك "حسين" الذي شكّل الفلسطينيون ما يقارب (65-75%) من تعداد شعب مملكته حينها، والذي أحس بخطورة مناورة "ناصر"، من المعارضين لتأسيس المنظمة، وعندما لم يستطع مواجهة الواقع قبل به مكرهًا. وكان لأنظمة عربية أخرى أهداف مختلفة لتشجيعها، أو معارضتها لتأسيس المنظمة العتيدة.

وقد سبقت منظمة التحرير الفلسطينية إلى الوجود هيئتان سياسيتان حاولتا تمثيل الشعب الفلسطيني، وهما الهيئة العربية العليا برئاسة المفتي "أمين الحسيني"، وحكومة عموم فلسطين برئاسة "أحمد حلمي عبد الباقي". وكان من أسباب فشل ذينك الكيانين أيضًا معارضة أنظمة عربية لنشاطهما، ومنها مصر والأردن والعراق. فـ"عبد الناصر" لم يكن راغبًا بتوتّر الأجواء مع إسرائيل أواسط الخمسينيات من القرن الماضي، وأما الأردن والعراق فقد رفضتا وجود الهيئة العليا، وحكومة "عبد الباقي" بطبيعة الحال.

وبعيدًا عن ظروف وأسباب نشأة المنظمة، وتدخلات الأطراف العربية والدولية في مسار عملها، والسياسات التي اتبعتها منذ أيام المؤسس "أحمد الشقيري" وصولًا إلى الرئيس الحالي "محمود عباس"، وبصرف النظر عن التحالفات والعداوات المتبادلة مع عدة جهات، والحروب التي خاضتها في أكثر من بلد عربي، وعن تغير وتبدل الأوضاع الإقليمية والدولية، وعملية "السلام" التي انخرطت فيها؛ فقد أخفقت تلك المنظمة بنسبة كبيرة في تحقيق أهم هدف أُنشئت من أجله، وهو تمثيل ورعاية مصالح الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات، فضلًا عن تحرير الأرض، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

في سوريا ومع انطلاق الثورة، تأسّست عدة كيانات سعت لتنظيم أنشطة الثورة وتوحيد كوادرها، كان منها الهيئة العامة للثورة، ولجان التنسيق المحلية، واتحاد تنسيقيات الثورة السورية، ومجالس قيادة الثورة، وغيرها؛ تلك الكيانات لم تدع بداية صفة تمثيليّة سياسيّة للمنخرطين في الثورة (وإن كنا نعتقد أن ذلك شكّل هدفًا مستقبليًّا لها، لم تنجح أي منها في تحقيقه)، ثم جاء تشكيل المجلس الوطني السوري نهاية العام 2011، تلاه تأسيس الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة نهاية العام 2012، والكيانان الأخيران ادعيا تمثيل الشعب السوري، أو جزء منه على الأقل سياسيًّا؛ بل وحازا على نوع من الاعتراف الدولي والعربي بصفتهما التمثيلية تلك. وقد كانت نشأتهما تشبه إلى حد ما نشأة منظمة التحرير الفلسطينية من جهة: إيحاء أطراف خارجية للمعارضة بتأسيس كيان سياسيّ جديد وإهمال الكيانات السابقة، رغبة منها ربما بالتلاعب بالقضية السورية، ومعارضة أطراف عربية، وإقليمية، ودولية أيضًا لذلك التأسيس، بالإضافة إلى التدخلات الخارجية في تحديد طريقة التشكيل، وهُوية المكونات، وآليات العمل، والسياسات عن طريق الضغوط السياسية والدبلوماسية والإعلامية، والدعم المالي، والترغيب، والابتزاز.

وبكل الأحوال، فإن تلك الممارسات ليست غريبة ولا جديدة في عالم السياسة والعلاقات الدولية؛ ولذلك فإن الخوض فيها لتبرير ما وصلت إليه حال كيان الثورة السياسي ليس بالأمر المنتج معرفيًّا ولا سياسيًّا، وعليه فإنّنا نعتقد

أن ما قد يكون منتجًا هو البحث في الأسباب الأخرى، وتحديد سبل تجاوزها، أو التحكم بها وضبطها.

لقد أفضى عمل الائتلاف الوطني السوري إلى مخرجات كارثية بشكل كبير، وبما لا يمكن مقارنته بما حققته منظمة التحرير الفلسطينية سياسيًّا وعسكريًّا في الماضي. وأما أسباب فشل الائتلاف السوري فهي متعددة، لكن ربما يمكننا من خلال إجراء مقارنة مع مرحلة الكفاح المسلح لمنظمة التحرير الفلسطينية من عام 1968 إلى عام 1982، وهي المرحلة التي تشبه ما تعيشه سوريا اليوم، أن نتعرّف على بعضها، مع ملاحظة قِصر فترة وجود الائتلاف السوري قياسًا لعمر منظمة التحرير، واختلاف الواقع والظروف لكلٍّ منهما.

أولًا، لا بدّ لنا أن نعترف بأن كلًّا من منظمة التحرير الفلسطينية، والائتلاف الوطني السوري وُلدا، وبدآ نشاطهما في ظرف يشهد تغيرات سياسية إقليمية ودولية متداخلة، وشديدة التعقيد والتركيب، والتسارع، وقد سعت أطرافٌ كثيرةٌ لاستغلال قضيتيهما لتحقيق مكاسب جيو-سياسية، أو اقتصادية، أو عقائدية، وغيرها، وهما يواجهان احتلالين لم يعرف التاريخ مثليهما. وللمفارقة، فإن هذين الاحتلالين -إسرائيل والنظام السوري- يدعيان أن بينهما حروبٌ وعداواتٌ، بينما الواقع يفيد أن النظام السوري لطالما عمل على محاربة منظمة التحرير وشق صفوفها، وساهم بإخراجها من لبنان عام (1982) تقاطعًا مع مصالح إسرائيل، بينما عملت إسرائيل ومنذ تحوّل الثورة السورية للمواجهة المسلحة على منع تسليح قوات المعارضة من قبل الحلفاء الغربيين بالتقاطع مع مصلحة النظام السوري.

والمفارقة الأكبر هي أنّ وحشية النظام السوري فاقت بكثير نظيرتها الإسرائيلية؛ فإسرائيل لم تقتل خلال ستة وستين عامًا من وجودها ما قتله النظام السوري خلال ثلاث سنوات فقط، ولم تستعمل في حروبها أسلحة -كمًّا ونوعًا- بقدر النظام السوري. والأهم، فإن إسرائيل كانت تقتل أعداءَها لتحمي وجود شعبها، بينما يقتل النظام السوري شعبه ليبقى ممسكًا بالسلطة.

وثانيًا، وبالمقارنة المذكورة آنفًا، يمكننا ملاحظة ثلاثة اختلافات، هي:

1- امتلكت منظمة التحرير قيادة ثورية سياسية واعية بطبيعة المرحلة، تعرف ما تريد، ومستعدة للتضحية وللعمل بتفانٍ، وجرأة، وشجاعة على تحقيق أهدافها بكل الوسائل المتاحة، بينما لم يتوفر للائتلاف الوطني السوري شيءٌ من ذلك.

2- حرصت قيادة منظمة التحرير في المرحلة المذكورة على استقلال قرارها، وتصدت لمحاولات التدخل وفرض أجندات أو سياسات عليها، رغم ما تعرضت له من ضغوط وحروب ومن أكثر من طرف عربي ودولي، بالمقابل فإن الائتلاف الوطني السوري خاضع بشكل كبير لرغبات الدول الداعمة، ولم يتمتع قراره بأي درجة من الاستقلال.

3- قيادة المنظمة كانت مكونة من قادة فاعلين في العمل الفدائي المسلح، فـ"ياسر عرفات"، و"جورج حبش"، و"وديع حداد، وخليل الوزير" مثلًا، لم يكونوا مجرد رئيس وأعضاء للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، بل كانوا قادة فصائل عسكرية أساسًا، وشاركوا بأنفسهم في حمل السلاح وتنفيذ عمليات ضد إسرائيل، بينما لا يتمثل النشاط العسكري السوري في الائتلاف، ولم يستطع الأخير قيادته، ولا توجيهه، ولا التأثير عليه.

هذه ربما بعض الأسباب التي أسهمت في فشل الائتلاف وسقوط شرعيته، وهذا بالطبع بعيدًا عن لغة الاتهام والتخوين التي يلجأ لها البعض للحديث عن أداء الائتلاف ونشاط أعضائه، والتي لا نفضلها -وإن صحت- بل نفضل البحث بطريقة موضوعية أكثر في أسباب التعثر، علّنا نستفيد كباحثين عن الحقيقة والحرية فنحاول بناء مؤسسات حقيقية تخدم أهدافنا، ونتعلم من المحاولات والتجارب الثورية لغيرنا، سواء منظمة التحرير الفلسطينية، أو جبهة التحرير الجزائرية، أو المؤتمر الوطني في جنوب أفريقيا؛ فلا نحسب أن هناك طريقة للخلاص خارج نطاق القراءة، والتعلم، والتجريب، والبدايات الجديدة بعد كلّ سقوط.

قلم رصاص

إن الوقوف على جانب التوعية في شأن الثورة السورية بات أمراً ضرورياً، وفي هذا المقام لابد من تشريح الذات لمعرفة مواطن من القصور فينا كانت قاتلة، وهذا القصور منسوب إلى الفرد منّا الذي يؤدي إلى التأثير السلبي على الجماعة، وليس منسوباً إلى الثورة، ذلك أن الثورة السورية تبقى في نظري مثل الماء الطهور، إننا حين نمتدح الثورة نمتدحها لذاتها، وحين نطلبها ونسعى إليها فإننا نطلب من ذلك تحقيق ذاتها وأهدافها العامَّة، أي إننا لا نمتدح ذواتنا من خلالها، ولا نسعى إلى تحقيق ذواتنا على حسابها. إنَّ بعض الأفعال والأقوال كانت سبباً من أسباب ضعفنا وتسلُّط العدوِّ علينا وتأخير النَّصر عليه، وهذه الحالات يجب معالجتها بكل صدق وجديَّة للتخلص من آثارها السلبية، ومنها:

تجاهلُ أنَّ الثورة عملٌ جماعيٌّ خالصٌ:

وهذا يعني أنه ما ينبغي لأي فرد منّا أن يتخذ قراراً فرديّاً مهما صغر شأنه، وليس لأحدٍ منّا أن ينسب إلى نفسه الثورة مهما كانت مكانته فيها، ومن ظنَّ أن الثورة قامت على أكتافه وحده في أيِّ بلدةٍ سوريَّةٍ مهما كانت صغيرة أو كبيرة يكون واهماً، إنَّها عمل شعبي جماعي ولذلك كان من الواجب أن يحترم الفردُ فيها قرارَ الجماعة، وأن يراعيَ حضور الجماعة، وأن يقوم بأمرها، ويجب أن نعلم أنَّ يد الله إنَّما تكون مع الجماعة، لا مع الفرقة والفردية والأنانية، قال الله تعالى: (ولا تفرَّقوا) كذلك لا يجوز التفرُّد بالقول أو الفعل من دون مشورة، قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) وقد استشار النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابه في غزوة بدر فنزل عند ماء بدر بناء على مشورتهم.

حبُّ التَّشوُّف والظُّهور:

كان من أعظم شعارات الثورة (هي لله هي لله، لا للسلطة ولا للجاه) مع ذلك أدَّى تجاهل هذه الحقيقة إلى رغبة عارمة لدى البعض في حبُّ الظهور والأنانية والتَّشوُّف، مما انعكس سلباً على الثورة والثوار، فعلى سبيل المثال ترى فرداً من الذين يتجولون في الأماكن العامة معلناً للناس والقاصي والداني أنَّه ثائر، وأنَّه من دعائم الثورة وأركانها الرَّكينة وأنَّه فعلَ كذا وفعلَ كذا، في حين أعرفُ بعض الثوار الحقيقيين الصادقين الذين كانوا يَسْتَخْفُون من الناس ولا يُظْهِرونَ أنفسَهم وما فعلوه، وقد قدَّموا للثَّورة كثيراً من خلال العمل السِّريِّ الدَّؤوب الخالص فاستعانوا على قضاء الحوائج بالكتمان، وكان نفعهم عظيماً لأنَّهم لم يُظهروا أنفسهم للنَّاس جميعاً، ولولا أنَّ الظروف قضت في بعض المراحل أن يَظْهَروا ما ظَهَروا للنَّاس قطّ، إن المتشوِّفَ والمحِبَّ للظهور عبء على الثورة والثوار، ولا أجرَ له عند الله وإن كان مجاهداً، وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب (من يريد الدُّنيا بعمله) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: إنّ أوَّل النَّاس يُقضى فيه يوم القيامة ثلاثةٌ، رجلٌ استشهدَ فأُتِيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَهُ فَعَرَفَها، فقال: وما عَمِلْتَ فيها ؟ قال: قاتلْتُ فيكَ حتى قُتِلْتُ، قال: كَذَبْتُ، ولكنَّك قاتلْتَ ليقالَ هو جريئٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجهه حتى ألقيَ في النَّار" إنَّ حبَّ الظهور هو سببٌ من الأسباب لنفور الناس، وسببٌ أحياناً لاصطياد بعض الثَّوار من قبل مليشيات الأسد، بسبب عدم حرصهم وكثرة تجوالهم وكثرة كلامهم في المجالس، وكلُّنا نعرف أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم كان يكتم كثيراً من غزواته، وكان يأمر بالاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان، وكلُّ عملٍ قام على الكتمان تكلَّلَ بالتوفيق إن كان خالصاً لله.

استصغار شأن الآخرين وما قدَّموه في خدمة الثورة:

بعض الثوار يستصغر شأن غيره من الثوار، ويستصغر شأن ما قدَّموه، فمثلاً ترى بعض مَنْ يحمل السلاح مع المجاهدين يستصغر شأن من يحمل القلم، فتراه يقول: وماذا تفعل الكتابة وماذا تفعل القصائد في حبُّ الوطن وماذا تفعل الأشعار في حبِّ الثورة. لهؤلاء أقول: إنَّ محاربة النظام لا تكون بوسيلة واحدة، ولعلَّ الشعر والنشيد والكتابة المخلصة تكون أشد على الأسد أحياناً من الرصاص، بل إنَّ القلم في حدِّ ذاته هو رصاصة، وقد عَرَفْنا أنَّ حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه لم يحمل السلاح في غزواته مع الرَّسول قط، بل كانت وظيفته هجاء قريش وإظهار باطلهم، وكان له فضلٌ عظيم، لأنه كان ينافح عن المسلمين بالشعر ويدافع عن الحق ويظهره، وقد قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (اهْجُ المشركينَ فإنَّ جبريل معك) فانظُر إلى هذا الشرف العظيم يا من يستصغر شأن الكلمة، وقد جاء في الحديث (كلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له) فالصحابة رضوان الله عليهم كان منهم الشاعر وكان منهم الفارس وكان منهم العالِم، لكنهم

جميعاً كانوا مجاهدين، ولم يكونوا صامتين عن الحقّ، فالعالِم جهـــادُه بإظهار الحقِّ بالحجَّة والبرهان، والشَّاعر جهاده بالدِّفاع عن الحقِّ بالقلم واللِّسان، والواقف في المعركة جهاده بالسِّيف، قال تعالى: ﴿ لكلٍّ وُجْهَةٌ هو موليها﴾ وقال صلَّى الله عليه وسلم: ((كلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له)) .

باختصار: تجاهلُ حقيقة أنَّ (الثورة عملٌ جماعيٌّ خالصٌ) و(الانغماس في حبِّ الظُّهور) و(التَّفرُّد بالرَّأي من دون مشورة الجماعة) و(استصغار شأن الآخرين وما قدَّموه للثَّورة) كلُّ ذلك من أخطر الأمور على ثورتنا، وهو أشدُّ خطراً على الثَّورة من النظام وميليشياته، ولذلك وجبَ علينا إخواني في الله أنْ نحذِّر من ذلك أشدَّ الحذرِ، فلنتقِّ اللهَ في أنفسنا ولنتقِّ اللهَ في غيرنا

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الفن.. قريباً للثورة .. وأقرب للحب

ل . ن

(لا تخونوا وطنكم) في حديث له، قال المسرحي السوري الراحل سعد الله ونوس (لنتفق على نقطة، انقطعت عشر سنوات عن كتابة المسرح، خلال هذه السنوات كنت أعلم أنني لا أستطيع أن أواصل الكتابة إلا بعد مراجعة جديدة لما أنجزته، وإلى ما آل إليه المسرح في بلادنا، وكذلك مراجعة التدهور الذي أصاب المشروع الوطني على امتداد الوطن العربي، وفي هذه المرحلة وجدت أني لم أركز بما فيه الكفاية على تخلف البنى الاجتماعية في بلادنا)، خلال تجربته الغنية مسرحياً، قدّم ونوس، قضايا عدة، منها الفقر، قدم عنه /9/ مسرحيات، ثم عالج ما عرف بمسرح التسييس، تالياً قدم نصوصاً جريئة في طرح الأسئلة الكبيرة، وفي تناول قضايا تحتاج حواراً وتقييماً كالعدالة الاجتماعية والسلطة، والحرية وكرامة الإنسان، إضافةً لما يتعلق بالقضية الفلسطينية .نستحضر ونوس، وقبل أيام مرّ عامٌ على رحيل الفنان نضال سيجري، ومع أنه لم يكن للأخير، مشروع ثوري كالذي قدمه الأول، إلا أنه اختار المشروع الإنساني كحالةٍ أوسع وأكثر شمولاً، فقبل سنوات، وخلال صراعه مع سرطان الحنجرة، كان سيجري حاضراً في أكثر من محافظة سورية، للمساهمة في التخفيف من حدة أي صراعٍ ناشئ، وكانت له مساهمات في إيصال المساعدات للمحاصرين، حتى أنه قبل وفاته بفترةٍ قصيرة، حاول جاهداً إيصال بعضها إلى حمص، لكن النظام منعه .لا نريد القول أن بعض الفنانين مع الثورة، وآخرون ضدها، فمن الطبيعي أن ينقسم الفنانون، وإن كان الفن ثورياً بطبيعته، لكن، لما قدمه البعض منهم، آثارٌ على المدى الطويل، كـ سعد الله ونوس ونضال سيجري، فالمسرح والدراما والسينما وغيرها، ليست فقط وسائل تثقيفية أو ترفيهية، هي أوسع بكثير، ولا نبالغ في القول، أنها شكلت في كثيرٍ من الدول، نقاط تحولٍ ثورية .بالتأكيد ظهرت تحولات ومشاريع فنية كثيرة خلال سني الثورة السورية، بدءاً من لافتات المظاهرات إلى أغاني الثورة، مروراً بالرسم على الجدران، وتسجيلات الفيديو، واللوحات التشكيلية، والنحت والخزف، كلها كانت تحكي حال الإنسان، وحال الثورة، والأهم أنها قدمت توصيفاً للحالة السورية، بتفاصيل لم تكن لتصل للآخرين، لولا الفنانين. أيضاً كانت هناك تجارب تستحق أن يسلط الضوء عليها، منها ما قدمه مغني الثورة وصفي المعصراني، بصوته الحزين، وما ألّفه ومثله الأخوان ملص، والقائمة تطول .ولأن من لا يحوز محبة الناس، أو على الأقل، يتمكن من إثارة انتباههم، لن يتمكن من إيصال رسالته إليهم، وهنا استطاع (أسعد خرشوف) بطل مسلسل (ضيعة ضايعة)، أن يكتسب قدراً كبيراً من المحبة والاحترام، وفي كلمات له، خاطب بها السوريين، قال (الحب هو الحل يا أبناء أمي، خانتني حنجرتي فاقتلعتها، لا تخونوا وطنكم)، ونحن نضم صوتنا لصوته المبحوح، يا أبناء الثورة، الحب هو الحل، لا تدعوا مجالاً للحقائد، لا تقتلوا بعضكم، أعداؤنا أولى بالرصاص من صدور إخوتنا، ولا تخونوا وطنكم .

ما لا يتم الواجب (الثوري) إلا به .. فهو واجب
القعود.. هو الهزيمة الحقيقية والأخطر

نبيل شبيب

من القواعد الذهبية في علم أصول الفقه: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ونحن. تحت تأثير حقبةٍ طويلةٍ من غلبة اختزال الدين في بعض جوانبه فقط، كالعبادات، أصبح أول ما يخطر لنا من التطبيقات لهذه القاعدة بعض الأحكام التعبدية المحضة من قبيل: لا يمكن أداء الصلاة إلا على طهارة، فالطهارة واجبة. القاعدة تسري على الإسلام كلّه، والعبادات «جزء» من الإسلام الذي أنزله رب العالمين لينال الإنسان مرتبة الرضوان في الآخرة وليسمو إلى أعلى مراتب السمو في حياته الدنيا، عقيدةً وقيماً وأخلاقاً، وكرامةً وعدلاً وحريةً، وحقوقاً وإنصافاً ورقياً.. وهذا ما تؤكده مثلاً الآية الكريمة ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾. نعاني في مسار هذه الثورة الشعبية المحررة للإنسان على كل صعيد، من أن كثيراً منا بات يشكو أكثر مما يعمل، ويتوقف بسبب عقبات خارجية أو ذاتية، واقعيةٍ أو موهومة، ثقيلة الوطء عبر استمرار المعاناة أو عابرة. ألا نعلم أن الإسلام يصنع بهذه القاعدة وأمثالها إنساناً لا يملك أن يتوقف عن العطاء والبذل حتى آخر رمق من حياته؟. لا يعرف المسلم الحق كلمة «عجزت». إن عجز عن أداء واجب من الواجبات لنقص فيما يتطلب أداؤه من إمكانات ووسائل، أصبح واجباً عليه أن ينتقل إلى أداء «واجب» آخر: إيجاد هذه الإمكانات والوسائل الضرورية، وهذا ما جعل « الثورة » واجبة لصناعة « التغيير ». أما أن يقول إن دوره قد انتهى على طريق الثورة والتغيير، فهو قول مرفوض في مختلف الظروف، بما في ذلك أن يكون « عاجزاً » بمفرده عن إيجاد تلك الإمكانات والوسائل، فسرعان ما يدرك أن واجبه أصبح العمل ليتلاقى مع سواه ليمكن « جماعياً » أداء ما يصعب أداؤه « انفرادياً »، فإن لم يجد حوله العاملين المتعاونين، أصبح عليه واجب البحث عنهم في دائرة أوسع.. وهذا من مفعول « تطبيق » قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.. لا يوجد عذر للقعود في مسار الثورة نحو هدف التغيير التاريخي الجليل الجذري الشامل الكبير.. ومن أخطر ما يسبب النكوص والقعود والفشل والإحباط مقولات بات ينشرها في مسار الثورة أولئك الذين يقذفوننا ببراميل الحرب النفسية المتفجرة، من الجبهات المعادية ومن داخل جبهتنا. من تلك المقولات: لقد خذلنا العلماء والدعاة والقادة والمخططون والسياسيون والإعلاميون والوصوليون والمتنطعون المتشددون المتطرفون. من داخل الصفوف مثلما خذلنا الأعداء في ثياب أصدقاء خارجيين.. وهذه مقولات يؤدي التعامل «السلبي» معها إلى الانحراف بمسار الثورة عما يقتضيه شعارها الأشهر من سواه: يا الله ما لنا غيرك الله. أما التعامل «الإيجابي» فينطلق من أن هذا الشعار عنوان لمنهج محوره هو حتمية العمل مع الإيمان، والبذل رغم الحرمان، والصمود أمام المحن والفتن بمختلف أشكالها وألوانها.. هو شعار يقتضي منا وفق قواعد الإسلام ومقتضيات الإيمان والارتباط بالله، أن ندرك ونعمل بما ندرك: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. إن افتقدنا القيادات وجب علينا أن نصنع عبر عملنا وتعاوننا القيادات في صفوفنا وحولنا.. إن افتقدنا المهارات وجب دعم بعضنا بعضاً لتعلم تلك المهارات وإتقانها.. إن افتقدنا وضوح الرؤية والتخطيط لعمل بين أيدينا، وجب أن نسعى للبحث عمّن نطمئن لقدرته على بيان الطريق والمبادرة إلى وضع الصيغة الأنسب لعبوره.. إن أعظم ما تصنعه –وبدأت في صنعه فعلاً هذه الثورة الشعبية والعفوية– هو الإنسان القادر على المضي بها على طريق هدفها البعيد: التغيير، ويأبى أن يعود إلى حقبة الفواجع التي صنعها «الركون للظلم والظالمين». وإن للتغيير مراحل متتابعة يتحول كل هدف قريب نحققه في إحداها إلى طاقة إضافية لأداء الهدف التالي في مرحلة تالية.. وذاك عين ما تقرره قاعدة أداء الواجب الضروري لأداء الواجب التالي. أما القعود بدعوى العجز.فهو الهزيمة الحقيقية والهزيمة الأخطر من كل نكسة أو تراجع على طريق الثورة والتغيير.

صبرت ياسر... فكان موعدك الجنة

يا ظلامَ السجن خيّم إنّنا نهوى الظلاما ليس بعدَ الليل إلا فجرُ مجدٍ يتسامى.

في عتمةِ المعتقلات العفِنة هناكَ أيادٍ مكبلةٍ بالأغلالِ وأراوحٍ أسيرةٍ وأجسادٍ أنهكها التعذيبُ حتى غدتْ جثةً هامدةً راقدةً بجانب الألم، تصرخُ وتأنُّ ولا يسمعُ صوتها سوى تلك القضبانُ التي سوف تلينُ يوماً ما، لتفسحَ الطريقَ أمامَ معتقلينا وتسمحُ لهم بالعبور الى برِّ الأمان وشاطئ الحريّة، لكن "ياسر" خرجَ من زنزانتهِ ونالَ حريتهُ بطريقةٍ أخرى .. بأسلوبٍ آخر كان مختلفاً عن باقي المعتقلين الذين عادوا لأهلهم سالمين...

سجّانُ الظلمِ يُبحرُ في التعذيب و روح "أبا عمار" ترقى وتعلو قممَ السماء وتحذّفُ مبحرةً إلى ملكوت السماوات، أهدى جسده لذلك السجان الأرعن الذي فقد أحاسيسه وتجرّدَ منها ليغدو كالوحش يفترسُ جسد "أبا عمار" بشتى أنواع التعذيب، و صخرةُ الظلمِ تحطُّ على صدر "ياسر" العاري تريدُ النيلَ من عزيمته ولسانُ حاله يقول: «أحدٌ أحد .. أحدٌ أحد»، أحمقٌ هو ذلك السجان، يجمّلُ قباحةَ سيده بضرب "ياسر" وتعذيبه، والظلامُ يسيطر على مكان الجريمة، حقاً إنها جريمة ليس بحق "أبا عمار" فقط، بل بحق الإنسانية جمعاء. تفوحُ شذا روحك راسمةً بريشةِ الأملِ معالمَ بطولةٍ ماكنتُ لأصفها إلا بالزكيّة الطّاهرة، ثلاثونَ عاماً قضيتها في حياتك سترقى بها مع الخالدين.

أيّها السجينُ الشهيد لا أبكيكَ اليوم بل أبكي نفسي خجلاً وأطأطئُ رأسي أمامَ قربانك الذي قدمته لربك ودينك، صفحتكَ مليئةٌ بالفخرِ والعزِ وكنتَ تحلمُ بالمزيد، تجوبُ شوارع البلدةِ في كل المظاهرات وصوتك يشدو أجمل العبارات، تحمل سلاحك بعدها لتذود عني وعن أهلي وعن ديني أولاً، لن ننساك في معركة الاقتحام سنة 2012 قاتلتَ بشراسةِ الأبطال وقتلتَ من العدو ما قتلت، وتلك الروح الطيبة الهادئة التي عهدناها عليك تفيضُ بحبِّ الخير ونصرة المظلوم، "ياسر صدقة" يُفتّشُ عن مكان يقاتل به لا يريدُ الذلَ والقعود لا يريدُ الهزيمةَ والخنوع وفي جعبته الكثيرُ والكثير من صفاتِ الرجلِ المقدام، يرابطُ مع رفاقه في منطقة خان الشيح بريف دمشق وشهد بها أكثر من معركة، بعد المعارك وهدوء البلدة نسبياً إجازةٌ أرادَ أن يقضيها مع أهله وولديه، بعدها بأيامٍ قليلةٍ مداهمةٌ غادرةٌ من قوات النظام تجعله في عداد المعتقلين ويلفظُ أنفاسهُ الطّاهرةُ هناك في زنزانةِ الظلم، مارسوا بحقهِ أبشعَ أنواعِ التعذيب أفرغوا حقدهم وظلمهم على جسده الغضّ الطري إلى أن أذن الله عز وجل بأن ترقى روحه راضية مرضية الى عليين.

رحمك الله عوضك الله الجنة، صدقت جهادك فنلت مرادك ونحسبك عند الله من الشهداء الأخيار، لن ننساك أيّها الشهيد السجين وعلى نهجك سنمضي في ذات الطريق التي سلكتها لنصل برّ الحرية والكرامة المنشودة .

شهداؤنا في الذاكرة دوماً..لن ننساكم حتى نلتحق بكم .